ولكنهم شاهدوا انها جاءت بفوائد غير هذه كثيرة من نحو تلطيف الاخلاق وتغيير الصفات وتعليم الجاهل وتحسين صحة السقيم ولكن لو لم يكن منها الا تعليم الجاهل صناعة لكفى بذلك فضلاً لها. ولعل حكومتنا المصرية تطلق تعليم الصنائع في جميع سجونها فانه للان لم يبد لنا مخترع واحد من الابرياء المنطلقين لعله يخرج واحد من بين اللصوص المسجونين

اختلاف الشهرة

من الناس من تؤاتيهم الاقدار وتلحظهم الحظوظ فترى الواحد منهم لا يكاد يهم بعمل حتى تجد الشهرة قد دنت منه وسابقت يده او فكره في العمل الآخذ به ولذلك يطير اسمه كل مطار ويسير كل مسار ويعيش منعماً في حياته بما كسب من مال ونال من اجلال . ومنهم من تنظره الشهرة حتى نهاية العمر فينبه بعد خموله وينضر بعد ذبوله ولكن بعد ان تفوته مدة الشعور بهذه المحاسن . بل ان من الناس من لا يدرى بهم الا بعد وفاتهم والتنبه لما تركوا مما لا يكون مهماً في حينه فيأتيه زمان فتبدو اهميته وتشتد الحاجة اليه ولهذا يقولون ان الشهرة انما هي مؤنثة من حيث انها تفعل فعال المرأة فتدنو وتصد على غير ما سبب واضح ونسق مقبول

الا ان الذين يشتهرون عند اول ابتدائهم بالعمل انما هم نادرون جداً لان ذلك يجيئهم من حسن البخت على الغالب دون السمو على غيرهم بجودة العقل فان الشاب ماركوني الايطالي الذي توصل الى المراسلة البرقية بدون سلك انما هو دون اديسون عقلاً وتبصراً في الكهربائية ولقد كان فتى في

المدرسة لا يدري به الا انماطه ومجاوروه فلما انتزع من الطبيعة سرها المساعد بنقل الكلام على اجنحة الجو طارت شهرته بسرعة كهربائية فاصبح لا يجهله احد في كل الارض مع ان اديسون وامثاله ممن هم اجود منه عقلاً واوسع ادراكا لا يشتهرون الا بالتدريج وذلك لانهم هم يخدمون نفوسهم ويعينونها على الشهرة دون محاسن الحظوظ بخلاف ماركوني ومن نشأ مثل نشوئه فان الشهرة قد جاءتهم من لدن التوفيق فاشتهروا دفعة واحدة ونشأوا على نهاية العظمة في اول عهدهم ولذلك فهي لا تزيدهم شيئاً لانهم لم يعودوا يقبلون الزيادة ولا يحتملونها

ولقد تعرضت احدى الصحف لهذه الحالة ولكنها لم تذكر عن الذين عظموا دفعة واحدة في بداءة عهدهم بالعظمة غير ماركوني مع ان رنتجن مكتشف الاشعة المشهورة ونوبل مستنبط الديناميت وامثالهما كثيرين من مستخدمي نواميس الطبيعة التي كانت خافية ربما يكونون قد نشأوا عظاماً دفعة واحدة لانهم لم يجددوا على اكتشافاتهم شيئاً آخر ليزيد في عظمهم ولكن هؤلاء على الغالب ممن يكونون قد وفقوا توفيقاً وكان حظهم مقدماً على جهدهم كما هو شأن رجال الحرب فان الواحد منهم يوفق للظفر في معركة فيعظم في الحال ويملأ اسمه الدنيا كما جرى لدي ويت القائد الترنسفالي فان غلمان الازقة صارت تعرفه وتتحدث به لكثرة خدعه الحربية وعظيم ما بدا من مكافحته للانكليز والاحتيال عليهم بكل وسيلة وكما جرى ايضاً الورد كتشنر فانه لم يكن شيئاً مذكوراً من سنوات قليلة فلما قيضت له حرب السودان وكان العالم كله في اشد الشوق لكسر المهدوية ومنع مظالمها طار اسمه في كل مكان مع انه ما فتح مملكة عظيمة ولا سن نظاماً بديعاً وكذلك

مرشان الضابط الفرنسوي فان شهرته ملأت كل مكان ونزلت في كل فكر مع ان كثيرين الان يجولون في مجاهل افريقيا جولانه ولا يدري بهم احد وذلك لان التوفيق لم يوقفهم في مشاكل دولية فما درى بهم الا الذين يهمهم امرهم ولذلك تقرب هذه الشهرة ان تكون كاذبة لانها مبنية على وقتها فمتى انقضى انقضت

اما رجال الاقلام فيندر جداً ان يشتهروا عند اول انشائهم لان الانشاء يقتضي التدريج ولا يسامح به حسن الحظ الا قليلاً لان المنشىء لا يمكن ان تكون كتابته في اول عهده مثلها في منتصفه او آخره ولكنهم ذكروا عن ردیارد کبنلغ الكاتب الانكليزي الكبير انه باشر صناعة الانشاء وهو في الواحدة والعشرين من عمره فما وصل الى الرابعة والعشرين الا وذكره ملء الارض وهذا يؤكد انه نال الشهرة عن استحقاق لان رجال الاقلام في اوربا واميركا يعدون بالالوف ولا يخلص الى الشهرة الرائعة من بينهم الا المجيد السابق المخترع لمحاسن الانشاء والمتصل بذكائه الى تصنيف افضل الكتب واكثرها نفعاً

ولقد يجيء بعده كثيرون لا مكان لذكرهم ولكن كل احوالهم تدل على انهم تدرجوا في العظمة تدرجاً وكانت الناس تمدهم امداداً بالانتباه الى اعمالهم والتحدث بهم ولهذا تعد شهرة القلم من اخلص الشهرات لانها مولودة من الطبيعة على شروط الولادة الحقيقية حتى لا ينالها الاكل من قطع مسافتها واجتهد على الحياة في اثنائها . لا كما هو الشأن في عظمة السياسيين فان الواحد منهم يظل في وظيفته دهراً طويلاً حتى يتفق كل شبابه وبعض اكتهاله دون ان يبدو منه عمل يؤثر او ينفع فتقدر له محاسن الحظ ان يولى

حل مشكلة او ينتخب لمؤتمر فتأتيه العظمة من طريق المهمة التي كلفها وعند ذلك يمتد اسمه ثم تلقى اليه كبار الامور فيتولاها بسداد لانها ليست مما يقتضي تبصراً نادراً او ابتداعاً لصنعة مغيبة وهي حالة قد اصابت كثيرين من ساسة اوربا منهم اللورد روزبري الشهير فانه لم يعرفه احد الا وهو في الاربعين من عمره اذ قيضت له مهمة اعانته على الانتشار ومثله المستر اسكيث وبرودريك وكرزن حاكم الهند والمستر شامبرلن العظيم فانه لم يعلم امره الا وهو في الرابعة والاربعين مع انه كان على مثل عقله او اجود قبل ذلك السن ولكن المهمة لم تكن موجودة ولا هم الذين اوجدوها بل الاقدار القتهم اليها فظهروا واشتهروا والله يعلم كم الوف اجود منهم عقلاً واكثر تبصراً وهم ملقون في زوايا الدواوين لا يمس بهم احد ولا يرنو اليهم حظ . واما رجال الاقلام في اوربا فلا نظن انه يوجد بينهم رجل فرد يستحق العظمة وهو غير عظيم بل هو لا بد ان يظهر ويعلم الناس بمقداره ومكانه فيكافأ بالجائزتين

اما رجال الاقلام من العرب فلا ندري عنهم شيئاً لنعلم كيف كان تدرجهم في الشهرة ولا كم كانت اعمارهم حين كتبوا التصانيف ونظموا الاشعار لان تاريخ الاحوال الخصوصية الذاتية لم يكن شائعاً عندهم ولذلك لا يعرف الا مجملهم دون تفصيلهم . ولكنهم ذكروا عن المتنبي انه نظم قصيدته التي مطلعها

ضيف ألمَّ برأسي غير محتشم السيف اصدق فعلاً منه باللمم

وهو في صباه فاذا كان ذلك صحيحاً فان المتنبي يكون مثل ماركوني قد عظم دفعة واحدة لان القصيدة تستحق الشهرة وهي جديرة بان يحدو بها الراكب وينسخها الوراق